

تعليم اللغة العربية إبان الاحتلال الفرنسي في الجزائر بين سياسات الإخماء والتغريب وإرادة التمكين والتعريب

Teaching Arabic during the French occupation of Algeria Between the policies of Westernization and the will of empowerment and Arabization

د. إسماعيل بوزيدي

المدرسة العليا للأساتذة ببوزريعة - الجزائر

Bouzidismail75@gmail.com

تاريخ النشر: 2022/07/05

تاريخ القبول: 2022/06/23

تاريخ الإرسال: 2022/06/17

الملخص:

تعد اللغة العربية أحد أبرز مقومات الشخصية الجزائرية، فهي اللغة الوطنية للمجتمع الجزائري، وقد لعبت طوال قرون دورا كبيرا في التماسك الاجتماعي والقومي للمجتمع الجزائري. وهي لغة القرآن، وبالتالي فهي لغة الإسلام الذي يدين به الجزائريون، ويتصل بواسطتها الفرد الجزائري بمنابع الإسلام في القرآن، والحديث، والفقه وغيرها من التراث الفكري للإسلام. يقول الإمام بن باديس اللغة العربية هي الرابطة التي تربط بين ماضي الجزائر المجيد وحاضرها الأغر، ومستقبلها السعيد وهي لغة الدين، والجنسية والقومية ولغة الوطنية المغروسة.

ولما كانت تكون مقوما من مقومات الشخصية الجزائرية، لأنها لغة جنس وقومية ودين في وقت واحد. سعى الاحتلال الفرنسي للقضاء عليها بكل الوسائل المتاحة له، كي يقضي على الشخصية الجزائرية وبذلك يتمكن من ابتلاع الجزائر في كيانها الخاص.

الكلمات المفتاحية:

مقومات الشخصية الوطنية الجزائرية، لغة سامية، سياسة فرنسا التعليمية، المقاومة الثقافية، محاربة اللغة العربية.

Abstract:

The Arabic language is one of the most prominent components of the Algerian personality, as it is the national language of the Algerian society, and for centuries it has played a great role in the social and national cohesion of the Algerian society. It is the language of the Qur'an, and therefore it is the language of Islam that the Algerians profess, and through which the Algerian individual is connected to the sources of Islam in the Qur'an, hadith, jurisprudence and other intellectual heritage of Islam.

Imam Bin Badis says that the Arabic language is the link that links Algeria's glorious past, its glorious present, and its happy future, and it is the language of religion, nationality and nationalism and the language of ingrained patriotism." The French to eliminate it by all means available to him, in order to eliminate the Algerian personality and thus be able to swallow Algeria into his own entity.

Keywords:

The components of the Algerian national character-Semitic language -France's educational policy - cultural resistance -fighting the Arabic language.

مقدمة:

1- اللغة العربية بين مشروعية الوجود وشرعية الانتماء

إن الحديث عن شرعية الوجود ومشروعية الانتماء، هو حديث عن أصالة اللغة العربية في الجزائر وجذورها التي تمتد لقرون، وهو حديث عن مقوم أساسي من مقومات الشخصية الجزائرية والمحافظة عليها هو محافظة على لغة كتب لأسلافهم بها شهادة الخلود. فاللغة العربية للجزائريين روح ثقافتهم، وأحد رموز وجودهم، ومن لا لغة له لا وطن له. فاللغة بيت الوجود، وهي وسيلة لفهم الدين والدفاع عن الوطن، لكل هذه الاعتبارات وغيرها عمد الاحتلال الفرنسي منذ أن وطئت قدماء الجزائر إلى محاربتها بالف رنسة والتجهيل والمحاصرة والمسح والفسخ والنسخ.

ولأن الصراع صراع بقاء ووجود، ارتأينا أن يكون عنوان مقالنا بالشكل الذي ورد عليه، إيماننا منا بأن أصالة هذه الأمة من أصالة لغتها، وأن السياسة الاستعمارية القائمة على منع اللغة العربية يدخل في إطار سياسة تهديم التحصينات الذاتية للأمة الجزائرية. وهذا ما سنعالجه في مقالنا بالتطرق إلى ركائز السياسة الاستعمارية في الجزائر للقضاء على الهوية الوطنية، ومظاهر سياسة المنع وتجفيف منابع تعلمها واستعمالها، ومظاهر المحافظة وروافدها ممثلة في التعليم الحر وإصدار مجلات بالعربية، وكذا الحركة المطبعية، وفي هذا سنبرز شهادات حية على أن نخرج على اللغة العربية بالنسبة للجزائريين، وكيفية المواجهة والتمكين للغتهم من خلال الحديث عن الطباعة والمطابع والمجلات والنشر، واجتهادات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في حماية بيضة اللغة العربية لغة الأمة. وقد توخينا من خلال عملنا الموسوم بـ: تعليم اللغة العربية إبان الاحتلال الفرنسي في الجزائر بين سياسات الإخماء والتغريب وإرادة التمكين والتعريب. إبراز حيثيات ذلك الصراع الذي هو صراع بقاء ووجود صراع نموذجين ثقافيين لأذواق مستعارة، وأفكار غريبة قائمة على تصدير وتسويق قيم مادية ومحاربة القيم الروحية لإحداث التكيف اللا حضاري، بل أن معالجتنا للموضوع تأتي في إطار الكشف واستدعاء الظروف النفسية والاجتماعية والسياسية بالعودة للغة، فالعودة لها عودة إلى الذات إلى الهوية والانتماء الحضاري الرافد الحضاري القوي الذي يعطي للأفكار قيمتها الاجتماعية.

فاللغة العربية تعد أحد أبرز مقومات الشخصية الجزائرية فهي اللغة الوطنية والقومية للمجتمع الجزائري، وقد لعبت طوال قرون دورا كبيرا في التماسك الاجتماعي والقومي للمجتمع الجزائري وهذا يعود إلى عاملين: العامل الأول؛ هو كونها لغة قومية للجزائريين، تربط بعضهم ببعض من ناحية، كما تربطهم بالمجتمع العربي على مستوى الأمة العربية من ناحية أخرى، وتحدد انتماءهم المصيري إلى ثقافة اللغة العربية وحضارتها. أما العامل الثاني؛ فهو أن اللغة العربية لغة القرآن وبالتالي فهي لغة الإسلام الذي يدين به الجزائريون، ويتصل بواسطتها الفرد الجزائري بمنابع الإسلام في القرآن، والحديث، والفقه وغيرها من التراث الفكري والروحي للإسلام. يقول بن باديس: «اللغة العربية هي الرابطة التي تربط بين ماضي الجزائر المجيد وحاضرها الأغر، ومستقبلها السعيد، وهي لغة الدين والجنسية والقومية، ولغة الوطنية المغروسة».¹ (تركي رابح، 1975، ص 52)

ولما كانت اللغة العربية تكون مقوما من مقومات الشخصية الجزائرية لأنها لغة جنس وقومية ودين في وقت واحد، حاول الاحتلال أن يقضي عليها بكل الوسائل المتاحة له، كي يقضي على الشخصية الجزائرية وبذلك يتمكن من ابتلاع الجزائر في كيانه الخاص.

2- السياسة الاستعمارية في مجال التعليم العمومي:

شكلت اللغة ولا تزال علامة مميزة وأحد العناصر الأساسية في حياة الأمة، وتعتبر كل محاولة للقضاء عليها علامة على اعتداء موجه ضد الشعب، أنها حقائق معروفة، يجب التذكير بها فقط لأن عملية القضاء على اللغة العربية وعلى الشعور الوطني الجزائري احتلت ولا تزال مكانا هاما في مخططات وعمليات الذين اعتبروا أن الجزائر فرنسية قبل كل شيء.² (زدرافو بيكار، 2011 ص 506). وكانت الثقافة أو ما يسمى اللغة حجز الأساس لاكتمال الاحتلال، فقد جاء في تعليمات الحاكم العام بالجزائر وهو برتران خليفة دي بورمون غداة الاحتلال: «إن إيالة الجزائر لن تصبح حقيقة مملكة فرنسية إلا عندما تصبح لغتنا هناك قومية، والعمل الذي يترتب علينا إنجازه هو السعي وراء نشر اللغة الفرنسية بين الأهالي على أن تقوم مقام اللغة العربية».³ (أحمد بن نعمان، 1996، ص 39) ويستطرد قائلا: «ثم أخذت الحكومة الاستعمارية تفتح أبواب المدارس شيئا أمام أبناء الجزائريين مند

سنة 1883م، لكن التعلم كان فرنسيا بحثا لا عربيا، ولا جزائريا فاللغة الفرنسية هي لغة الوطن، وتاريخ فرنسا هو تاريخ الوطن وهكذا⁴. (المرجع نفسه، ص150) "إن على الجزائريين أن يفقدوا انتماءهم العربي في أقرب الآجال، وقد تم تطبيق هذه السياسة منذ البداية بصورة جذرية ومستمرة، فمنذ الخامس جويلية 1830 تاريخ اجتياح الجزائر، بدأت عملية القضاء على اللغة العربية، كعلامة ظاهرة للأمة العربية الجزائرية. ورافقت هذه العملية، أعمال تدمير المساجد وتحويلها إلى كنائس كاثوليكية. ولم توجد في البلاد إلى غاية 1935، أية مدرسة في البلاد تعلم اللغة العربية، ولم يكن يذهب إلى المدارس العمومية الفرنسية إلا القليل من الأطفال الجزائريين، وحيث يمنع عليهم الحديث بلغتهم، حتى أثناء المناقشات الخاصة. كما كان يمنع على الأنديجان أنهم جزائريون، بل يرغمون على القول أنهم فرنسيون مسلمون⁵ (زدرافكو ص506) وإن تاريخ محاربة الاستعمار للغة العربية بالجزائر طويل ومأساوي، ومن نتائجه أن الأجيال الصاعدة الجزائرية لا تكتب ولا تقرأ لغتها. فمن مجموع مئة طفل تابعوا تعليمه في المدارس الفرنسية، ويكتلمون ويكتبون اللغة الفرنسية، لا يتجاوز من يستخدم اللغة الأدبية العربية 1,5°/6° (المرجع نفسه، ص506).

هكذا نرى بوضوح الوجهة التي تأخذها الجهود التي يقوم بها هؤلاء الذين يريدون القضاء على شخصية الجزائريين وبالدرجة الأولى منهم الذين يمثلون الطليعة الواعية للأمة. ومن ركائز السياسة الاستعمارية للقضاء على الهوية الوطنية محاربة اللغة العربية على جميع المستويات واستبدالها باللغة الفرنسية، ومن جهة ثانية تقسيمها إلى ثلاث لغات عربية عامية عربية فصيحة (كلاسيك)، وعربية عصرية (مودرن)، والهدف منه التشكيك في أصل اللغة، وكانت الثقافة أو ما يسمى اللغة حجز الأساس لاكتمال الاحتلال فقد جاء في تعليمات الحاكم العام بالجزائر وهو برتران خليفة دي بورمون غداة الاحتلال⁷ (تركي رابح، 1975، ص129).

ويمكن تتبع سياسة الامحاء للمقومات الشخصية فيما يلي:

أ/- محاربة اللغة العربية: التي تعتبر أكثر المقومات معاناة باعتبارها منافسا للغة الفرنسية، ولأنها تشكل وعاء ثقافيا، وديوانا للتراث الفكري والحضاري للمجتمع الجزائري، وقد اتبع الفرنسيون في مسعاها لمطمس معالم اللغة العربية بالجزائر أسلوبا متدرجا.

- تحطيم وإغلاق المدارس والمعاهد العربية وتشريد المعلمين: وفي ذا يعترف الدوق دومالا لوالى العام على الجزائر في تقرير له إلى حكومة فرنسا حيث قال: «لقد تركزنا في الجزائر واستولينا على المعاهد العلمية وحولناها إلى دكاكين وثكنات».⁸(تركي رابح، ص125)

ولقد كان الوضع الثقافي قبل 1830 باعتراف المؤرخين الأجانب أكثر ازدهارا، مما أصبحت عليه بعد الاحتلال فالجنرال فاليري كتب قائلاً سنة 1834: «بأن كل العرب تقريبا يعرفون القراءة والكتابة حيث هناك مدرستان في كل قرية».⁹(عيسى جحنيط، ص155) أما الأستاذ إيمري الذي درس طويلا الحياة الجزائرية في القرن التاسع عشر، فقد أشار أنه كان في قسنطينة وحدها قبل الاحتلال خمسة وثلاثون مسجدا تستعمل كمراكز للتعليم، كما كان هناك سبع مدارس ثانوية يحضرها ما بين ستمائة وتسعمائة طالب، ويدرس فيها أساتذة محترمون لهم أجور عالية، أما بخصوص المدارس الابتدائية فقد كان هناك تسعون يحضرها 1350 تلميذ. وهكذا فان تحطيم المؤسسات التعليمية كان يعني اضطهاد اللغة الوطنية وهي العربية.¹⁰ (emirit marcel ;1951; P235) كما استولى الفرنسيون على الأوقاف التي تعتبر المصدر المالية لتمويل المؤسسات التعليمية والدينية، إن هذا الاستيلاء كان محل احتجاج صارخ من قبل الجزائريين كما أثار حتى أولئك الفرنسيين الذين كانوا يقفون من الجزائريين موقفا معاديا، مثل دي توكفيل الذي صرح: «لقد وضعنا أيدينا في كل مكان على هذه الأملاك (الأوقاف)، ثم وجهناها غير الوجهة التي كانت تستعمل فيها في الماضي، قد عطلنا المؤسسات الخيرية(وهكذا) تركنا المدارس تموت و الندوات العلمية تتدثر».¹¹ (سعد الله، 1983، ص63)

ب/- منع تعلم اللغة العربية: باعتبارها لغة أجنبية وميتة، أجنبية لأن اللغة الفرنسية كانت قد أصبحت لغة الجزائر الرسمية منذ قرار الإلحاق سنة 1834، وميتة لأن مصيرها قد انتهى كمصير اللغة اللاتينية والإغريقية، ولأنها لن تكون قادرة على أن تصبح لغة حضارة.

ومن القرارات التعسفية التي أصدرتها في هذا المجال قرار 8 مارس 1938 الذي عرف باسم قرار "شوطان" نسبة إلى واضعه وهو وزير الداخلية الفرنسي آنذاك، وقد نص القرار على اعتبار اللغة العربية لغة أجنبية ولا يجوز تعليمها في مدارس التعليم، سواء كانت حكومية أم شعبية وعلى هذا الأساس فقد اعتبر القرار تعليم اللغة العربية ونشرها بين الجزائريين محاولة عدائية لصبغ الجزائر بالصبغة العربية.¹² (مراد بوعبا ش ص 262)

ج/- تشجيع اللهجات المحلية: فقد حاولت الإدارة الفرنسية في الجزائر بمعاونة بعض المستشرقين أن تحصر اللغة العربية في نطاق ضيق جدا فتقصرها على العامية، وهكذا شط بعض أعوان الإدارة الاستعمارية (من الجزائريين مزدوجي اللغة) تحت إشراف المستشرق الفرنسي في وضع بعض الكتب المدرسية باللهجة العامية الجزائرية.¹³ (بن نعمان، 1980، ص169) لقد أدت محاربة اللغة العربية وإزالتها من الواقع الجزائري إلى حالة مزرية، وقد أشار إلى هذا الواقع المزري الذي آلت إليه العربية محمد فريد بك الزعيم المصري الذي زار الجزائر في مطلع القرن العشرين فكتب في جريدة اللواء واصفا الواقع المأساوي: «هجرت ربوع العلم وخربت دور الكتب وصارت الديار مرتعا للجهل والجهلاء، وكادت تدرس معالم اللغة العربية الفصحى، وتطرفت إلى اللغة العامية الكلمات الأجنبية بل أصبحت اللغة الفرنسية هي لغة التخاطب في العواصم مثل وهران والجزائر وقسنطينة وعنابة إلى أن يقول: «إن حالة التعليم في القطر الجزائري سيئة جدا، ولو استمر الحال على ذا المنوال لحلت اللغة الفرنسية محل اللغة العربية في جميع المعاملات بل وربما تتدرس اللغة العربية بالمرّة مع بعض الزمن، فلا الحكومة الفرنسية تسعر في حفظها ولا تدع الأهالي يؤلفون الجمعيات لفتح المدارس».¹⁴ (عيسى جحنيط، 1997، ص97).

3- روافد المحافظة على اللغة العربية وتعليمها غداة الاحتلال

بعد التطرق لسياسة فرنسا التعليمية ومحاولة محو الشخصية القومية للجزائريين، القائمة على الفرنسية والتتصير والإدماج وانعكاساتها كوسيلة وهدف على الشخصية الجزائرية المتمثلة في النجاح النسبي في تغريب بعض النخب والتأثير في بعض رجال الطرق الصوفية المنحرفة.¹⁵ (تركي، ص114) وبعد عرضنا سعي فرنسا تمويه وطمس معالم الشخصية الجزائرية بكل أبعادها وهو سعي لإفراغ مفهوم الهوية من أركانها الأساس المتمثلة في

الدين واللغة والوطن، سنخرج الآن على الروافد المقاومة التي انبرت في كل جهات الوطن لمحاربة سياسة التحطيم والطمس والتتصير... حفاظا على مقومات الشخصية الجزائرية، من مدارس ومساجد ومطابع حافظت على الحرف العربي، وأول ما نبداً به هو الحديث عن المطابع العربية في المحافظة على العربية ومواصلتها لمسيرة الكفاح، والجهاد ضد سياسات المستعمر الفرنسي...

3-1- المطابع العربية التي حافظت على الحرف العربي:

لقد ساهمت المطابع باعتبارها من أهم الوسائل التي تسهم في نشر الوعي والعلوم والمعارف في الحفاظ على الحرف العربي، من خلال طباعتها للمجلات والجرائد الدورية وللكتب والمؤلفات ودواوين الشعر... رغم أن هذه الصناعة دخيلة على الجزائريين، والسبب في تأخر ظهورها - رغم أهميتها في طبع الصحف والمنشورات - الاعتبار المالي فذلك يتطلب مالا وعلمًا وصيانة وهذا ما كان يفتقده الجزائريون قبل الحرب العالمية الأولى.¹⁶ (أحلام بن عمرة، 2017، ص25) هذا في مقابل النشاط الإعلامي والثقافي التغريبي، إذ ظهرت قبل الحرب العالمية الأولى عشرة صحف تعبر عن آراء التيار التغريبي، مثل جريدة المصباح للعربي فخار بوهراي 1904، وأسبوعية الحق 1893 التي أصدرتها النخبة المتغربة بعنابة، وأسبوعية الإسلام للصادق دندان في 1909 وللمزيد يمكن العودة إلى مجلة.¹⁷ (البصيرة، 1997، ص164) ونظر المكانة العربية فانه كان لا مناص من التوجه نحو إنشاء مطابع كيف لا للتمكين لها وسط هذا المد الجارف والنهوض بها كوعاء فكري وحضاري، ذلك أن لغة أمة هي روح ثقافتها وعنوان حضارتها. تحتل اللغة العربية مكانة مميزة فهي الوطن للعرب والمسلمين، ولذلك فان من أفضل الأعمال النهوض بها.¹⁸ (بلعيد صالح، 2006، ص69) فهي الركن الثاني من أركان الشخصية الوطنية، وهي الرباط الوثيق الذي يربط الشعب الجزائري بدينه، وتاريخه وثقافته، ويربطه بأجزاء الوطن العربي المختلفة، فهي لغة الدين، لغة القومية، ولغة الوطنية المغروسة، أنها وحدها الرابطة بيننا وبين ماضينا، وهي وحدها المقياس الذي نقيس به أرواحنا بأرواح أسلافنا، وبها يقيس من يأتي بعدنا من أبنائنا وأحفادنا الغر الميامين أرواحهم أرواحنا.¹⁹ (زنودة فريدة، 2008، ص130)

3-2-المطبعة الثعالبية: للأخوين التركيين ردوسي أحمد وقدر اللذين اهتمتا بالكتب طباعة ونشرا، وكان لهما الفضل في إنشاء أول مطبعة في 1895 سميت بالثعالبية.²⁰ لخشين، (2011، ص11) اشتهرت بطباعة المصحف الشريف على رواية ورش، وله أربع طبعات مشهورة، فضلا على طباعة كتب التراث العربي الإسلامي كالتفسير والمتون، وكتب الحديث وبعض التراجم والأعمال الفقهية.

3-3- المطبعة الإسلامية الجزائرية: يعود فضل تأسيسها للعلامة ابن باديس ، ويتضح من تسميتها أبعادها وتوجهها في الحفاظ على ثوابت الأمة، وقد كان من بواكير إنتاجها صحيفة المنتقد الأسبوعية في عالم الصحافة، وكان ذلك في 1925، أما ثاني صحيفة فكانت الشهاب الأسبوعية التي صدرت في نفس السنة، ثم صارت تصدر شهريا كما طبعت السنة المحمدية في 1939 كجريدة أسبوعية بعد توقيف المستعمر للشهاب كعادته. وفي 1933 صدرت الصراط السوي، وقد تم توقيفها في 1934 بعد سبعة عشر عددا. وفي 1935 صدرت البصائر، وبعد 180 عدد من الصدور توقفت بسبب الحرب العالمية الثانية. وقد استمرت في الظهور بعد رحيل مؤسسيها، وقد استأنفت مسيرتها في 1947 بعد التوقف الاضطراري.

3-4-المطبعة الجزائرية: ارتبطت باسم أبي اليقظان المؤسس الأول رفقة بعض رجال الإصلاح بوادي ميزاب، وكان ذلك في 1931. ولقد تعرض للكثير من المضايقات والملاحقات من طرف الإدارة الاستعمارية والمتعاملين معها من رافضي الإصلاحات ومعارض الحركة الإصلاحية وكان من أهم انجازاتها ديوان أبي اليقظان كتب توفيق المدني وغيرها. ومن الصحف العربية التي طبعت جريدة البصائر في سلسلتها الأولى (1935/ 1939).²¹ (محمد الصالح، 1980 ص13)، وكذلك جريدة المرصاد وجريدة الثبات لصاحبهما عباسة الأخضر، ومجلة التلميذ لسان حال الطلبة المسلمين الجامعيين بالجزائر 1932/1933. ونذكر كذلك جريدة الميدان لحسن وأرزقي 1937/1939، وكذلك جريدة الحياة التي صدر منها ثلاثة أعداد مفدي زكرياء 1933، وجريدة الإصلاح للشيخ الطيب العقبي 1939. فضلا عن هذه الإصدارات كانت تساهم بطبع منشورات المنظمات الطلابية والحركة الكشفية والجمعيات التعليمية. كما نذكر مطبعة ابن خلدون تأسست في 1938 من طرف جمعية

العلماء المسلمين، ولقد ساهمت في الحفاظ على الحرف العربي من خلال مطبوعاتها المتنوعة كمجلة العبقريّة.

وما نخلص إليه من خلال عرضنا لأبرز المطابع التي كانت سباقة في الظهور، وكذا الأدوار الطلائعية التي قامت بها أنها كانت تعمل في ظروف أقل ما يقال عنها أنها قاسية، ورغم ذلك ساهمت في الحفاظ على اللغة العربية، من خلال طبع نسخ القرآن الكريم. والنشر بها والتعريف بتراثنا اللغوي والفكري والحضاري، ولنا في الصحف والمجلات والجرائد الدوارة خير دليل على أهمية المطابع في مواصلة مسيرة الكفاح، والجهاد ضد المستعمر الفرنسي، وللتوسع أكثر ينظر أحلام بن عمرة عرض حول المطابع العربية القديمة التي حافظت على الحرف العربي، مقالة منشورة بمطبوعة صادرة عن المجلس الأعلى للغة العربية، منشورات المجلس، وهي خاصة بأعمال اليوم الدراسي للاحتفاء باليوم العالمي للغة العربية 2017، ص 38/22.

4- جهود المنظمات الوطنية في ميدان المحافظة على اللغة العربية:

تشكل الجمعيات والنوادي واجهات للنضال الثقافي حافظت من خلال نشاطاتها المتنوعة على الشخصية الوطنية للجزائر من الذوبان، وهذا من خلال استقراء لمنجزاتها وتقويم متبصر لأهدافها العملية التي كانت حاضرة في الأذهان وماثلة للعيان. وكانت مبادئها كما لخصها رئيسها بن باديس هي العروبة، الإسلام. وقال أنها أركان نهضتنا، وأركان جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي هي مبعث حياتنا، ورمز نهضتنا، فجمعية العلماء هي التي تحفظ علينا جنسيتنا وقوميتنا وترتبط بوطنيتنا الإسلامية الصادقة²² (تركي رابح، ص 202).

وقد جاء في الفصل الرابع من قانونها الأساسي، أن القصد من هذه الجمعية هو محاربة الآفات الاجتماعية كالخمر والميسر والبطالة والفجور، وبالجملّة فكل ما يفسد على الناس عقولهم). وإحياء اللغة العربية وثقافتها والعمل على نشرها في البلاد بعد أن عمل الاحتلال وأدها ودفن حضارتها في الجزائر أكثر من قرن من الزمن. وإعطاء دور للكتاتيب القرآنية المنتشرة انتشارا كبيرا في مرحلة الدراسة، بحيث كان لا يخلو منها حي من الأحياء في المدن، ولا قرية من القرى في الأرياف، واليهما يعود الفضل الكبير في المحافظة على القرآن الكريم في الجزائر خلال فترة الاحتلال الطويلة (1830 إلى 1962). وكانت إلى جانب

قيامها بتحفيظ لقرآن الكريم إلى المترددين عليها تحفيظا جيدا، تلعب دورا هاما في نشر القراءة والكتابة باللغة العربية، مما جعل الجزائريين يحافظون على معرفتهم باللغة العربية، ولو في صورة بسيطة ومتواضعة. بعد أن طارد الاحتلال اللغة العربية من الإدارة ومعاهدة التعليم. وعن طريق الكتاتيب القرآنية التي كان ينهض بها حملة القرآن في الجزائر، كان حفظ القرآن كله أو جله منتشرا بين الجزائريين انتشارا واسعا في مرحلة الدراسة.²³ (تركي، ص، 203)

وقد ركزت الجهود الوطنية في التعليم العربي نشاطها على إبراز وتحقيق مقومات الشخصية القومية للجزائر عن طريق:

- 1- نشر اللغة العربية على نطاق واسع بين الجزائريين، باعتبارها أهم مقومات الشخصية الجزائرية بواسطة المدارس والمعاهد والمساجد والنوادي الحرة، التي أنشأتها ي طول البلاد وعرضها خلال مرحلة الدراسة (1956/1931)، ومن هنا كانت لغة التعليم العربي الحر هي اللغة العربية وحدها، ورفضت المنظمات الوطنية بشدة إدخال اللغة الفرنسية في مدارسها حتى لا تزامم اللغة العربية المحاربة في مدارس التعليم الحكومي. رغم محاولات الاحتلال فرضها على معاهد التعليم العربي الحر.²⁴ (تركي، ص 204).
- 2- إحياء الثقافة العربية، ومحاولة بعثها في ثوب جديد يتلاءم مع تطورات العصر، وذلك عن طريق توجيه الشباب الجزائري إلى العناية بالتراث العربي الأدبي في أزهى عصوره، ودراسته دراسة متعمقة .

وقد ظهر هذا في العناية بدراسة أمهات كتب هذا التراث في الأدب والشعر والتفسير والحديث والتاريخ في مناهج معاهد ومساجد التعليم العربي الحرة، كما تمثل كذلك في العمل على تكوين صحافة عربية قوية، ولذلك كان معظم الصحافة التي صدرت في مرحلة الدراسة، صحافة رأي تناضل على مبادئ والأفكار، وليست صحافة خبر، تستهدف الربح التجاري، في المقام الأول ولقد لعبت النوادي الحرة، والتعليم المسجدي الذي نهض به ابن باديس من عام 1940/1913 والتعليم المسجدي الذي نهض به الشيخ إبراهيم بيوض في ميزاب ابتداء من عام 1925 وبعض الزوايا الصالحة في الشمال وجنوب البلاد، ثم معهد ابن باديس 1956/1947 ومعهد الحياة ابتداء من عام 1940 حتى نهاية الاحتلال دورا بالغ

الأهمية في نهضة الثقافة العربية في الجزائر مما نتج عنه فشل سياسة الاحتلال الرامية إلى قتلها ومحوها من الوجود .

3- ركزت الجهود العربية نشاطها في التعليم العربي ذي الطابع الديني، لأن الاحتلال كانت تعمل على القضاء على مقومات الشخصية الجزائرية، ومن هنا كانت العناية موجهة إلى إفساد هذه الخطة عن طريق التركيز على الثقافة العربية في جوانبها اللغوية والأدبية والدينية لأن ذلك كان فوق طاقة وإمكانيات الجهود الوطنية في هذه المرحلة.

ويلاحظ الباحث أن الجهود الوطنية في التعليم العربي قد حققت نجاحا مرموقا في تحقيق معظم الأهداف التي ناضلت من أجلها. وهي الإسلام واللغة العربية والوطنية الجزائرية التي تشكل في مجموعها الشخصية القومية للجزائر على نقيض سياسة الاحتلال التعليمية التي تقوم على أساس فرنسة الجزائريين وتنصيرهم، ثم دمجهم في فرنسا. وقد أخرجت معاهد ومدارس ومساجد، وزوايا التعليم العربي الحر أجيالا جزائرية كانت تحمل علما قليلا، ولكن معه فكر صحيح، ورأي سديد، وعقيدة قومية سليمة، كانت عماد النهضة الجزائرية العربية الحديثة.

وباختصار فقد عملت الجهود الوطنية في التعليم العربي على تذكير الجزائريين بماضي ثقافتهم القومية المجيد من ناحية، ومن ناحية أخرى أيقظت في نفوسهم روح المقاومة الصلبة ضد كل ما يمس العقيدة واللغة والشخصية القومية للجزائر. وكانت الأجيال التي تعلمت في معاهد التعليم العربي الحر، ومن أشد الجزائريين إيمانا في العقيدة، وقوة في الشخصية وحماسة في الوطنية وصلابة في مقاومة الاحتلال. من أجل تحرير الجزائر في ظل حضارتها العربية الإسلامية وهو ما تحقق في ثورة الفاتح من نوفمبر سنة 1954 التي قضت على الاحتلال، وحققت استقلال الجزائر التام في عام 1962 في ظل عروبة الجزائر وإسلامها. وكل مقوماتها الشخصية.²⁴ (تركي، ص204).

الخاتمة:

ما يمكن أن نتوصل إليه- من خلال عرضنا هذا- أنه رغم المحاولات المبكرة التي عمد إليها الاحتلال الفرنسي في القضاء على أبرز مكون من مكونات الشخصية الجزائرية، والمتمثل في إعلان الحرب على العربية منذ 1830 حتى أضحت سائرة نحو الزوال على حد تعبير الأستاذ أحمد توفيق المدني، هذه الحرب الشعواء التي لم تبق ولم تذر، والتي استعملت فيها كل الأسلحة كسياسات الغلق لروافد تعليمها، وكذا سياسات المحو والمحاربة بالفرنسة حيناً، وبسن قوانين منع استعمال العربية حيناً، وبتشجيع اللهجات أحياناً أخرى، وباعتبارها لغة أجنبية ميتة، لأن اللغة الفرنسية قد أصبحت لغة الجزائر الرسمية منذ قرار الإلحاق سنة 1834، وميتة لأن مصيرها قد انتهى كمصير اللغة اللاتينية والإغريقية ولأنها لن تكون قادرة على أن تصبح لغة حضارة.²⁵ (سعد الله، ص13) إلا أن محاولات الطمس هذه لمعالم الشخصية الجزائرية وإدماج الجزائر في الكيان الفرنسي (استيطان) لم تحقق مبتغياتها بل كان لها مفعول عكسي ظهر في عواقب منها:

- تعمق كره الجزائريين للاحتلال، فقد ظلت اللغة العربية طوال فترة الاحتلال الفرنسي هاجساً قومياً لكل الجزائريين.

- ارتباطهم ببلادهم واعتزازهم بمقوماتها، واعتبار العربية هي المقوم الأساس للأمة.

- تحرك النخب ومقاومة الاحتلال على الصعيد السياسي والثقافي والدعوي والإعلامي...

وكل ما يحرر العقول، فهي لغة الإجماع من كل أطراف الشعب ومنظماته الجموعية والحزبية

- المجاهرة عبر الصحف العربية الجزائرية الإصلاحية مؤكدة أن الجزائر كيان ووطن مستقل له جذوره المتغلغلة في العروبة والإسلام يختلف كل الاختلاف عما كانت تدعيه فرنسا. وبالعودة إلى افتتاحيات وموضوعات المنتقد والشهاب والبصائر والصحافة اليقضانية والمنار والمغرب العربي لمحمد السعيد الزاهري، والمنار لمحمود بوزوز، يجد الجواب على إرادة الاعتزاز والتمكين ومحاربة سياسة الامحاء والتدجين.

الهوامش:

- 1- تركي رابح، (1975)، التعليم القومي والشخصية الجزائرية ص 52
- 2- زدارافكو بيكار، (2011)، الجزائر، شهادة صحافي يوغسلافي عن حرب الجزائر موفم للنشر الجزائر 2011 ص 503
- 3- أحمد بن نعمان، (1996)، عن حزب البعث الجزائري، الجزائر، دار الامة ص 39
- 4- المرجع نفسه، ص 150
- 5- زدارافكو بيكار، (2011)، ص 506
- 6- المرجع نفسه، الصفحة نفسها
- 7- تركي رابح، (1975)، ص 129
- 8- المرجع نفسه، ص 125
- 9- جحنيط التيار التغريبي في الجزائر، جذوره وامتداداته، البصيرة للبحوث والدراسات الإنسانية، العدد الأول، الصادرة عن دار الخلدونية الجزائر 1997
- 10- P235 , 1951 , emirit marcel
- 11- أبو القاسم سعد الله، (1983)، الحركة الوطنية الجزائرية، ج 2 ش و ن ط 1 ص 63
- 12- مراد بوعباش ، الباحث ، العدد الثامن ، 2013 ص 262
- 13- أحمد بن نعمان، (1980)، التعريب بين المبدأ والتغريب ش و ن ط 1 ص 169
- 14- عيسى جحنيط (1997)، ص 155
- 15- تركي رابح، (1975)، ص 129
- 16- أحلام بن عمرة، (2017)، الاحتفاء باليوم العالمي للغة العربية، مقالة، عرض حول المطابع العربية القديمة التي حافظت على الحرف العربي منشورات المجلس 2017 ص 25
- 17- البصيرة، (1997)، ص 164 مرجع سابق
- 18- بلعيد صالح، (2006)، منافحات في اللغة العربية، ط تيزي وزو دار الامل للطباعة والنشر ص 69
- 19- زنودة فريدة، (2008)، النص المسرحي والإصلاح الاجتماعي في الجزائر سنة 1954، مذكرة لنيل الماجستير، بآنتة. ص 130
- 20- أبو روى رضوان بن إبراهيم لخشين الجزائري، (2011)، ص 11 تاريخ طباعة المصحف في الجزائر
- 21- محمد الصالح ناصر، (1980)، المطبعة العربية معلم وطني مجهول، 1931-1962، ط 1، الجزائر، مكتبة الأيام. ص 13.

- 20- تركي رابح، (1975)، ص 203
 20- تركي رابح، (1975)، ص 203
 20- تركي رابح، (1975)، ص 204
 25- المرجع نفسه، ص 204
 26- أبو القاسم سعد الله، (1983)، ص 13

قائمة المراجع:

المراجع باللغة العربية:

- 1- أحلام بن عمرة، (2017)، الاحتفاء باليوم العالمي للغة العربية، مقالة، عرض حول المطابع العربية القيمة التي حافظت على الحرف العربي منشورات المجلس 2017
- 2- أحمد بن نعمان، (1996)، عن حزب البعث الجزائري، الجزائر، دار الامة.
- 3- أحمد بن نعمان، (1980)، التعريب بين المبدأ والتغريب ش و ن ت . الجزائر
- 4- بلعيد صالح، (2006)، منافع في اللغة العربية، ط تيزي وزو دار الامل للطباعة والنشر
- 5- تركي رابح، (1975)، التعليم القومي حو الشخصية الجزائرية 1931/1956، للبحوث والدراسات الإسلامية المقارنة.
- 6- زدارافكو بيكار، (2011)، الجزائر، شهادة صحافي يوغسلافي عن حرب الجزائر موفم للنشر الجزائر
- 7- عيسى جحنيط، (1997)، التيار التغريبي في الجزائر، جذوره وامتداداته، البصيرة للبحوث والدراسات الإنسانية، العدد الأول، الصادرة عن دار الخلدونية الجزائر .
- 8- أبو القاسم سعد الله، (1983)، الحركة الوطنية الجزائرية، ج 2 ش و ن ت ط 1
- 9- أبو روى رضوان بن إبراهيم لخشين الجزائري، (2011)، تاريخ طباعة المصحف في الجزائر
- 10- زنودة فريدة، (2008)، النص المسرحي والإصلاح الاجتماعي في الجزائر سنة 1954، مذكرة لنيل الماجستير، باتنة.
- 11- محمد الصالح ناصر، (1980)، المطبعة العربية معلم وطني مجهول، 1931-1962، ط 1، الجزائر، مكتبة الأيام.

المجلات

- 12-الباحث، (2013) مراد بوعباش مجلة صادرة عن المدرسة العليا للأساتذة ببوزريعة الجزائر العدد الثامن
- 13-البصيرة، عيسى جنيط (1997)،المركز البحوث والدراسات الانسانية البصيرة،الجزائر العدد 1

الكتب الأجنبية

- 14- Emerit Marcel (L Algérie a l époque d abdelkader) /paris la rose 1951. P235